(١٧) القدس أمانتي

أثق أنكم تعرفونني

وكثيرًا ما ترونني

فأنا موجود في كل بيت من بيوت الفلاحين

شهير أنا في جميع الأوساط!

يقضي الناس حاجاتهم على ظهري

وأتولَّى عنهم حمل الأشياء وأنا سعيد بأداء وظائفي

وجميع الأطفال مثلكم يحبون أن يمتطوا ظهري ويركبوا فوقي

هم يستمتعون بذلك جدًّا وأنا أفرح لفرحهم وأسعد لسعادتهم

ولهذا أعطيهم ظهري، وأعطيهم حكاياتي أيضًا

لديَّ حكايات كثيرة

هل أحكي لكم بعضها؟

تشتاقون لسماع قصة من قصصي

جميل!

إذًا سوف أحكي لكم قصَّة جدٍّ من أجدادي القدامى

حدثت معه قصَّة عظيمة غاية في العجب

فقد خرج هو وصاحبه يومًا في بعض الطرقات، كان اسم صاحبه (عزير) وكان عبدًا صالحًا حكيمًا، ظلا يسيران حتى أتيا قرية، فلما قامت الظهيرة وأصابه الحرُّ أتى إلى مكان خرب فيها، وحين دخلها نزل عن حماره وكان معه سلتان؛ سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فأنزل ذلك الطعام عن ظهر حماره، وجلس يأكل؛ أخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزًا يابسًا معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله، ثم استلقى على ظهره وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر إلى سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي خاويةٌ على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظامًا بالية فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فلم يشك أن الله يحييها ولكن

قالها تعجبًا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه، فأماته الله مائة عام!

ويا للعجب!

ظلَّ مائة عام ميتًا، فاقدًا للحياة؛ لا يحس، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يتحرَّك.

فلما أتت عليه مائة عام، بعث الله إلى عُزير ملكًا فخلق قلبه ليعقل وعينيه لينظر بهما فيرى كيف يحيي اللهُ الموتى.

ثم ركب عظامه وهو ينظر ذلك ويراه، ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح، كل ذلك وهو يرى ويعقل!

وفي النهاية استوى عزير جالسًا.

فقال له الملك: كم لبثت؟ هل تعرف كم سنة ظللت ميتًا ثم أحياك الله بعدها؟

قال عزير: لبثت يومًا أو بعض يوم، وذلك أنه كان لبث بعض ساعات من النهار عند الظهيرة فأماته الله وقتها ثم بعث

في آخر النهار والشمس لم تغب ولكن بعد مائة عام. فقال له الملك: بل لبثت مائة عام، والدليل على ذلك أن تنظر إلى طعامك وشرابك، وترى ما حصل بهما؛ انظر إلى الخبز اليابس لم يتغير، وانظر أيضًا إلى التين والعنب إنه غضٌّ لم يتغير شيء منه كذلك.

ثم قال له الملك: انظر إلى حمارك.

فنظر إلى حماره فرآه قد بليت عظامه وصارت نخرة.

فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبت فوق بعضها، وعزير ينظر إليه ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك الروح فقام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء!

وذلك كله بأمر من الله وتدبيره.

عرف عزير الحقيقة ثم ركب حماره حتى أتى القرية التي كان يسكن فيها، فلم يعرفه أحد من الناس وهو لم يعرف

أحدًا منهم، وأخبرهم من هو لكنهم لم يصدقوه!

فانطلق حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مُقْعَدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟

قالت: نعم هذا منزل عزير.

فبكت وقالت: ما رأيت أحدًا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرًا وقد نسيه الناس.

فقال لها: إني أنا عزير كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني.

قالت: سبحان الله! فإن عزيرًا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر.

قال: فإني أنا عزير.

قالت: فإن عزيرًا رجلٌ مستجابُ الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن يرد عليَّ بصري حتى أراك فإن كنت عزيرًا عرفتك.

قال: فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا، وأخذ بيدها

وقال: قومي بإذن الله.

فأطلق الله رجليها، فنظرت فقالت: أشهد أنك عزير.

وانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم، فنادتهم فقالت: هذا عزير قد جاءكم.

فكذبوها.

فقالت: أنا فلانة دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه.

قال: فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه.

فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير.

فقالت بنو إسرائيل لعزير: إنه لم يكن فينا أحد قد حفظ التوراة وقد حرق الملك الظالم (بختنصر) التوراة ولم يبق منها شيء، فاكتبها لنا.

وكان والد عزير قد دفن التوراة أيام (بختنصر) في موضع لم يعرفه أحد غير عزير، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره

فاستخرج التوراة وكان الورق قد عفن.

وجلس عزير في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله وتذكر عزير ما نقص من التوراة فجددها لبني إسرائيل.

هل تعرفون القرية الخربة التي مرَّ عليها العزير وتعجب إن كان الله يحيي هذه الأرض مرَّة ثانية؟

إنها مدينة القدس، التي تقع اليوم في فلسطين، الدولة العربية الإسلامية العظيمة، والقدس مدينة عظيمة عزيزة على كلِّ مسلم، ففيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهي الأرض المباركة التي ذهب رسول الله ﷺ إليها في رحلة الإسراء والمعراج، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الرحلة في كتابه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١].

وهي أمانة النبي ﷺ ومن بعده الصحابة والقادة والمسلمون الأوائل، وحمايتها وصيانتها واجب على كل مسلم، فهي أولى

القبلتين لأن النبي ﷺ صلى إلى جهتها أولًا ثم أمره الله بعد ذلك بالتوجه إلى البيت الحرام.

والقدس هي ثالث الحرمين، فالحرم الأول هو المسجد الحرام الذي فيه الكعبة في مكة، والحرم الثاني هو المسجد النبوي الذي بناه الرسول ﷺ في المدينة، والحرم الثالث (المسجد الأقصى).

هذه قصة جدِّي الأكبر الذي كان أطول نوعنا عمرًا، فقد عاش فوق مائة سنة!

حدثت قصته مع نبي الله العزير، وسجَّلها القرآن في هذه الآية من سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].